

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان

4212 - أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن الزهري قال : حدثني سعيد بن المسيب و عروة بن الزبير و علقمة بن وقاص و عبيد الله بن عبد الله عن حديث عائشة Y حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله وكل حديثي بطائفة من الحديث و بعضهم أوعى لحديثها من بعض وأسد اقتصاصا وقد وعيت من كل واحد الحديث الذي حدثني به وبعضهم يصدق بعضا ذكروا .

أن عائشة قالت : كان رسول الله A إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين نساءه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله A معه قالت : فأقرع بيننا في غزوة عزاها فخرج سهمي فخرجنا مع رسول الله A وذلك بعد أن أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه مسيرنا حتى إذا فرغ رسول الله A من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن بالرحيل ليلة فقامت [حين آذنوا] في الرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني رجعت فلمست صدري فإذا عقد من جزع ظفار قد وقع فرجعت فالتصمت عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين يرحلون لرسول الله A فحملوا هودجي ورحلوه على البعير الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه قالت عائشة : وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يغشهن اللحم فرحلوه ورفعوه فلما بعثوا وسار الجيش وجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داعي ولا مجيب فأقامت منزلي الذي كنت فيه فبينما أنا جالسة غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني عرس فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان فعرفني حين رأيته وكان رأيته قبل أن ينزل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبته ثم انطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهر فهلك في شأني من هلك وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي ابن سلول .

فقدمت المدينة فاشتكت حين قدمتها شهرا والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يرييني من رسول الله A لأنني لا أرى منه اللطف الذي كنت أراه منه حين اشتكتي إنما يدخل علي رسول الله A فيقول : (كيف تيكم ؟) فيرييني ذلك ولا أشعر حتى خرجت بعدما نقهت من مرضي ومعني أم مسطح قبل المناصع وهي متبرزنا ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك أنا نكره أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز وكنا نتأذى بالكنف قرب بيوتنا فانطلقت ومعني أم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف و أمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق و ابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلنا حين فرغنا

من شأننا لنأتي البيت فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت : تعس مسطح فقلت لها : بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا ؟ ! فقالت : أي هنتاه أولم تسمعي ما قال ؟ قلت : وما قال فأخبرني بقول أهل الإفك .

فازددت مرضا إلى مرضي ورجعت إلى بيتي فدخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال : (كيف تيكم ؟) فقلت : أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي فقلت لأمي : يا أمتاه ما يتحدث الناس ؟ قالت : أي بنية هوني عليك فوالله لقل امرأة وضيئة كانت عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها قالت : فقلت : سبحان الله أو تحدث الناس بذلك ؟ ! قالت : فمكثت تلك الليلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم أصبح وأبكي .

ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب و أسامة بن زيد وهو حينئذ يريد أن يستشيرهما في فراق أهله وذلك حين استلبت الوحي فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وماله في نفسه لهم من الود فقال : هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا وأما علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال : لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك قالت : فدعا رسول الله ﷺ أبا بريرة فقال : (أي بريرة هل رأيت من عائشة شيئا يريبك ؟) قالت بريرة : يا رسول الله ﷺ والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيدخل الداجن فيأكله .

فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال وهو على المنبر : (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغ أذاه في أهل بيتي ؟ فوالله ما علمت من أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت منه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي) فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : أنا أعذرک منه يا رسول الله ﷺ إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال : والله ما تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال : كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان : الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله ﷺ فبكيه يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي .

فبينما هما جالسان عندي إذ استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست معي فبينما نحن على حالنا ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ولم يكن جلس قبل يومي ذلك مذ كان من أمري ما كان وليث شهرا لا يوحى إليه قالت : فتشهد ثم قال : (أما بعد فقد بلغني يا عائشة عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ﷻ وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله ﷻ وتوبي فإن العبد إذا اعترف بالذنب ثم تاب تاب الله عليه) .

فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلم دمه حتى ما أحس منه بقطرة فقلت لأبي : أجب عني رسول الله ﷺ فقال : وأني ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله ﷺ فقالت : وأني لا أدري ما أقول لرسول الله ﷺ [فقلت] - وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن : إني والله لقد عرفت أنكم سمعتم بذاك حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فإن قلت لكم : إني بريئة - والله يعلم أنني بريئة - لم تصدقوني وإن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنني بريئة - لتصدقوني وإني والله لا أجد مثلي ومثلكم إلا كما قال أبو يوسف : { فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون } ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم أنني بريئة وإن الله جل وعلا يبرئني ببراءتي ولكن لم أظن أن الله جل وعلا ينزل في شأنني وحيا يتلى ولشأنني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله جل وعلا في بأمر يتلى ولكن أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في منامه رؤيا يبرئني الله بها .

قالت : فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه A فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي من ثقل القول الذي أنزل عليه فلما سري عن رسول الله ﷺ كان أول كلمة تكلم بها أن قال : (يا عائشة أما والله فقد برأك الله) فقالت لي أمي : قومي إليه فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله الذي هو أنزل براءتي فأنزل الله : { إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم } العشر الآيات قالت : فأنزل الله هذه الآيات في براءتي .

وكان أبو بكر رضوان الله عليه ينفق على مسطح لقربته منه وفقره فقال : والله لا أنفق عليه أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله { ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة } إلى قوله : { ألا تحبون أن يغفر الله لكم } فقال أبو بكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح بالنفقة التي كان ينفق عليه فقال : والله لا أنزعها منه أبدا قالت : وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري : (ما علمت وما رأيت ؟) فقالت : أحمي سمعي و بصري ما علمت إلا خيرا قالت : وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك .

قال الزهري : فهذا ما انتهى إلي من أمر هؤلاء الرهط K إسناده صحيح على شرطهما